### حاورته (التكوين) قبل رحيله بفترة قليلة

# خطاط المصحف العماني سالم البلوشي .. إلى الرفيق الأعلى

الخطاط الذي استهواه الحرف العربي بكل فتنته وسحره وغواياته، فأبحر في مياهه منذ نعومة أظافره ودخل عوالمه الساحرة وقضى الأيام والليالي في محراب الخط وصومعة الإبداع، حتى أصبح أحد الراسخين في هذا الميدان، ما أهله لينال شرف كتابة أول مصحف عماني مكتوب بخط اليد. إنه الخطاط المغفور له بإذن الله سالم بن خلفان البلوشي الذي رحل عن عالمنا بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠١٦م، بعد أن أمضى ١٢ عاما في رحاب كتاب الله رسما وكتابة وعناية.

بدأ الراحل رحلته مع الخط العربي في وقت كان يصعب فيه على الشخص أن يجد الفرصة لتعلّم الكتابة؛ نظرا لقلة المدارس وانعدامها في بعض المناطق، والتهاء الناس بقوت يومهم، لكنّه أصرّ بطموح كبير، وبشغف جعله يواصل ليتشرف بكتابة أسمى الحروف، وأبهى الكتب، وأعظم الآيات.

رحلته الطويلة والشاقة مع الخط العربي التي حكاها لي حُق لها أن تُكتب بماء الذهب، وأن تسطّر في كتاب أو منهج يتعلم منه الأبناء والأحفاد، فهو لم يجد كل شيء متوفرا حتى ينمي موهبته بل طوّع ما أمكنه تطويعه كي يواصل مسيرته ليكتب بخط يده مصحف سلطنة عمان.

قبل رحيله بأيام التقت (التكوين) بالمرحوم سالم بن خلفان البلوشي الذي كشف لنا كثيرا من ملامح رحلته مع عشق الخط وكتابة المصحف الشريف، وتأسيسه أول معهد متخصص في الخط العربي بالسلطنة، إلى جانب موضوعات متعددة جدير بالتأمل.

تحدث الراحل عن بداياته مع الخط العربي، وتحديدا في ستينيات القرن الماضي، يقول: «كان أخي عبدالله يدرس في الكويت وكانت هناك مراسلات بيننا، وفي إحدى المرات أرسل لي صندوقا كتب عليه بعض العبارات، فأوقد ذلك الصندوق في نفسي الرغبة للانطلاقة نحو الخط العربي، فبدأت أمارسه».

ويضيف: «في تلك الفترة لم تكن هناك مدارس نظامية أو معاهد كي نلتحق بها، فقد درسنا في الخيام بمنطقة الساحل في ولاية قريات، وأثناء دراستي هذه كنت أمارس الخط والكتابة، وبعد ذلك انتقلت للدراسة في مدرسة القوات المسلحة بمنطقة غلا في العاصمة مسقط وكان ذلك في عام ١٩٧٤م، ثم انتقلت من المدرسة والتحقت بالحرس السلطاني العُماني.

وكشف الراحل عبر حواره مع التكوين إصراره على مواصلة الخط عبر خدمته العسكرية قائلا: «فور انتقالي طلبت من المسؤولين المواصلة في دراسة الخط، وكان بعضهم يقول لي إن خطك جميل، ولا يحتاج إلى دراسة، لكن حسب معلوماتي ومعرفتي فإن للخط قواعد محددة، والذي لا يعرفها لن يستطيع إتقان الخط العربي، لذلك كنت مصرا وراغبا في دراستها، فبُعثت للدراسة في مدرسة المساحة العسكرية بجمهورية مصر العربية في ثمانينيات القرن الماضي، وهناك حققت رغبتي بدراسة أنواع جديدة من الخطوط العربية.

ورغبة منه في تعزيز هذا الفن ونشره سعى إلى تأسيس معهد لتعليم الخط العربي على أسس احترافية. يوضح ذلك قائلا: «عندما رجعت من مصر راودتني فكرةُ افتتاح معهد متخصص في الخط العربي في عُمان، وقد نفذتها وقمت بتأسيس معهد للخط العربي في مسقط، والتحق معي طلبة من القوات المسلحة ومن الشرطة ومن جهات أخرى، ودرّست فيه كثيرا من الشباب بمساعدة معلمين عرب، وإلى جانب المعهد كنت ألقي محاضرات تطوعية عن الخط العربي في مختلف مدارس السلطنة، ووجدت شبابا وشابات يجيدون الخط العربي ولديهم الرغبة في تعلّم قواعده وإتقانها. ولكن ظروفي الصحية حالت دون إكمال مشواري في المعهد فبعته لأحد الأشخاص وسمعت بأنه أغلقه بعد ذلك.

أما عن النقلة الكبرى في حياته مع الخط العربي عندما جاءت فكرة كتابة المصحف الشريف، يرويها قائلا: «كان ذلك في عام ١٩٩٣م تقريبا، فذهبت بدايةً إلى سماحة الشيخ المفتي العام للسلطنة وأخبرته بالفكرة فبارك هذه الخطوة وشجعني على الانطلاق، ثم استشرت الأخوة فشجعوني أيضا، فكانت الانطلاقة منذ ذلك اليوم، وبدأنا بجهود ذاتية.

بدأنا أنا وشخصان آخران كانا معي في المعهد، فالنص القرآني كان يكتبه الأستاذ عمر كمال القدوسي- رحمه الله- فيما كنت أنا أقوم بالتشكيل والمراجعة والإدارة، أما الشخص الثالث فهو محمد القاسمي الذي كان طالبا في المعهد وكان يجيد الخط والزخرفة الإسلامية فأوكلت إليه مهمة زخرفة المصحف العُماني. واستغرقنا أكثر من ١٢ عاما، وقد كان العمل مشتركا في الكتابة والإدارة والزخرفة.

ويستطرد سالم البلوشي قائلا: علمت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بكتابتي المصحف الشريف ونحن على مشارف الانتهاء منه، فطلبني معالي الشيخ وزير الأوقاف والشؤون الدينية، وقال لي إن الوزارة ستتبنى طباعته، وستقوم بتحمل

تكاليفه، فاتفقنا على ذلك ولله الحمد تم تدشينه في ٢٠٠٨م».

وعن تفاصيل المصحف من حيث قياساته وأوراقه قال رحمه الله: «يتكون المصحف الأصلي الذي قمنا بكتابته من ٦٠٤ صفحات، ويزن حوالي ٢٥ كجم، ومقاسه ٧٥ في ٥٥ سم، وقد صورت منه ثلاث نسخ كونه كبيرا ومُكلفا. النسخة الأصلية للمصحف موجودة في وزارة التراث والثقافة (وقد عرضت بعد وفاته في المتحف الوطني). أما النسخ الثلاث التي هي طبق الأصل من النسخة الأصلية فواحدة موجودة مع جلالة السلطان، وأخرى مع السيد فهد بن محمود آل سعيد، والثالثة موجودة في بيتي».

وعن أهم ما يميز هذه النسخ عن المصحف العُماني المنتشر في المساجد والجوامع قال رحمه الله: «النسخ الكبيرة عُملت بجلد الغزال الطبيعي الذي أتينا به من أفريقيا وأرسلناه إلى مصر لدباغته، وكل صفحة تحمل صورة واحدة، أما المصاحف المطبوعة ففي كل صفحة توجد صورتان على وجهيها، وقد قامت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بطباعة ثلاثة مقاسات منه لتوزيعها على المساجد.

وكشف للتكوين عن الأدوات التي استخدمها في كتابة المصحف الشريف قائلا: أنا كنت استخدم الأقلام «آرت لاين» الحديثة، وكانت الصفحة الواحدة تأخذ قلمين على الأقل كي نُحافظ على شكل الحبر، أما الزجاج الذي عملنا به الزخارف فكان حوالي ١٥٠ زجاجة بمختلف الألوان، واستخدمنا تقريبا ألف ورقة، فبعض الأوراق كانت تضيع، وعندما يحدث سهو في الخط. ويضيف: «كانت رحلة شاقة جدا، ويُمكن أن أسميها معركة خضناها عبر سنوات طويلة، وقد اكتنف هذه الرحلة الكثير من الصعوبات والتحديات والمواقف التي لا تزال حاضرة في الذاكرة، فعندما كنا نركب الطائرة نخاف على أوراق المصحف من الضياع، حتّى ونحن في المنزل نظل نكتب الصفحات ليل نهار، وكنت إذا خرجت من منزلي وأحسست بقرب هطول أمطار أتصل فورا بأبنائي وأخبرهم بأن يُبعدوا المصحف عن الأماكن التي قد تصل إليها مياه الأمطار، وغيرها من المواقف الكثيرة والصعبة».

ويستذكر رحمه الله المواقف تلو المواقف، ولكن من أكثرها دهشة ما حدث في مصر فيقول: «أثناء ذهابنا إلى لجنة البحوث في الأزهر الشريف لاعتماد المصحف، طلبوا منا تصوير المصحف نسختين بالإضافة إلى النسخة الأصلية وهو ما معناه أن نقوم بتصوير ٦٠٤ صفحات مرتين، وفي طريقنا إلى محل التصوير طلبنا من صاحب سيارة الأجرة أن يُدخل الصندوق الذي توجد به أوراق المصحف الأصلية داخل المركبة إلا أنه رفض وأصر على وضعها أعلى المركبة، وأثناء سيرنا في شارع الملك فيصل انفتح غطاء الصندوق بسبب الريح، وهنا أحسست بأن قلبي قد تم انتزاعه؛ إذ ظننت بأن الأوراق الأصلية للمصحف تطايرت مع الهواء، فصرخت على السائق بكل قوتي: قف، لكن ولله الحمد وجدنا أن الأوراق لم تتحرك.

ونختتم هنا بكلماته المؤثرة التي يعد فيها مرضه بأنه نعمة من الله فيقول: والله أكرمني بإصابتي بالأمراض بعد انتهائي من كتابة المصحف، والحمد لله المصحف الآن في كل المساجد والجوامع داخل السلطنة وخارجها، وأصبح لعُمان مصحفها الخاص بعد المصحف الأفريقي والمصحف المصري وأخيرا المصحف القطري.